تعليم اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات

د.غول شهرزاد*، أستاذة محاضرة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.
E-mail :ghoulchahrazed@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2017/11/05 تاريخ القبول: 2020/11/24 تاريخ النشر: 2021/09/27

ملخص:

شهدت المنظومة التربوية عدّة إصلاحات، ولا شك أنه ما يجدر بنا الاهتمام به ظهور مقاربة التدريس بالكفاءات التي شاعت في العالم في السنوات الأخيرة.

والتي جاءت كنظرة تطويرية لبيداغوجيا الأهداف، وهي تقوم في جوهرها على تصور علمي مضبوط تجعل من خلاله "المتعلم" الأساس في العملية التعليمية عن طريق وضع "المتعلم" في وضعية "تعلمية" قائمة على الوضع والاكتشاف.

كلمات مفتاحية: الحقل التعليمي، المقاربة بالكفاءات، التدريس، العملية التعليمية، الأهداف.

Abstract:

The educational system has witnessed several reforms, and there is no doubt that what we should pay attention to is the emergence of the approach to teaching with competencies that have become common in the world in recent years, which came as a developmental view of the pedagogy of goals, which is based on an scientific perception which the "learner" is the basis of the process educational status by placing the "learner" in a "learning" position based on status and discovery.

Keywords: educational field, approach to competencies, teaching, educational process, objectives.

*المؤلف المرسل: أستاذة محاضرة غول شهرزاد، الإيميل: ghoulchahrazed@yahoo.fr

1.مقدّمة:

مرّت المنظومة التربوية الجزائرية بتطورات مختلفة، وعبر فترات زمنية متنوعة، عرفت فيها إصلاحات جمّة، جاءت كحلّ للمشاكل والعوائق التي تعاني منها منظومتنا التربوية. ومن بين ما قامت به الجزائر من إصلاح خلال السنوات الأخيرة، اعتماد طريقة المقاربة بالكفاءات التي تهدف إلى جعل المتعلّم عنصرا فعّالا مشاركا في العملية التعليمية بدل تلقينه للمعارف دون فعالية، ومن هنا تمخّضت فكرة هذا البحث محاولين الإجابة عن عدة تساؤلات: فيم تجلى واقع إصلاح المنظومة التربوية الجزائرية؟ ماهي المقاربة بالكفاءات وفيم تمثلت، وأين تمحورت أسسها؟

2. المقاربة بالكفاءات، ما هي ولماذا؟

إن المقاربة بالكفاءات هي تصور حديث داخل الحقل التربوي والبيداغوجي على مستوى التدريس في مختلف المؤسسات التعليمية، جاءت كرد فعل على التقنيات التقليدية التي كانت معتمدة في التدريس والتي تقوم على تلقين المعارف النظرية وترسيخها في ذهن المتعلم على شكل نظريات وقواعد أساسية تكتفي بتسطير كفاءات أهداف محددة ومحدودة وفي نفس الوقت تجعل منه إنسانا آليا، يتعلم لينجح في الاختبارات أو الامتحان فقط.

فالمقاربة بالكفاءات هي تصور وبناء مشروع قابل للإنجاز في ضوء خطة أو استراتيجية تأخذ في الحسبان العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب، وهي ترتبط بنظرة الدارس إلى العالم الفكري الذي يحبذه في لحظة معينة.

ترتكز كل مقاربة على استراتيجية للعمل من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية: إجراء تطبيق صيغة وصفة[1].

كما عرفها أهل التربية أنها النشاط المنظم الموجه الهادف الذي يستعين بأساليب فنية مدروسة ومتعارف عليها لتحقيق التأثير في الأفراد في مستويات متنوعة، وفي مجالات معينة تتفق مع خصائص مراحل العمر[2].

جاءت المقاربة بالكفاءات لتجعل من المتعلم إنسانا طبيعيا يساير نموه وبالتالي يتكيف بالتدريج مع المحيط الذي يتعامل معه ليصبح قادرا على مجابهة مشاكل الحياة الاجتماعية عن طريق استخدام

المعارف المدرسية وجعلها صالحة الاستعمال اليومي، فالمقاربة بالكفاءات لا تنصرف عن محتويات البرنامج التعليمي ولكنها تسعى إلى تطبيقها واستخدامها وتفعيلها في الحياة اليومية بكل متطلباتها.

1.2 مفهوم الكفاءة:

تعد الكفاءة من المصطلحات التي تبلورت ضمن الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد تنوعت مفاهيمها لدى البيداغوجيين منها:

_ الكفاءة مجموع المعارف والمهارات التي تسمح بإنجاز شكل منسجم وتوافق مهمة أو مجموعة مهام[3].

_ هي القدرة التي يمتلكها إنسان من أجل أداء مهام معقدة يتطلب إنجازها التحكم في عدد كبير من العمليات مثل تلك التي تصادفنا – عموما- في ممارسة مسؤولية أو تنفيذ عمل[4].

_ الكفاية تعبير عن تنظيم داخلي مجرد، يتكون من القواعد والأسس الخاصة بالنشاط في مجال معين لعدد غير متناه من المهارات ذات العلاقة بذلك المجال يظهره الفرد في أدائه.

ويمكن أن نعرف الكفاءة مثلما عرفها الباحث عبد الرحمن الحومي على أنها مجموعة من الموارد الذاتية من معارف ومهارات وقدرات وسلوكات واستراتيجيات ... والتي تنتظم في شكل بناء نسق يتيح القدرة على تعبئتها ودمجها وتحويلها في وضعيات محددة وفي وقت مناسب إلى إنجاز ملائم[5].

2.2 مركّبات الكفاءة:

تتركب الكفاءة من ثلاثة عناصر أساسية هي: القدرة، المهارة، الانجاز.

_ القدرة: وهي أشكال من الذكاء وفق استعدادات فطرية ومكتسبات حاصلة في محيط معين وكما قال " jérome.S. Bruner " أن الحديث عن الكفاءات يعتبر حديثا عن الذكاء في مفهومه العام باعتباره أساس كل عمليات التكيف مع الحياة الدراسية والاجتماعية وغيرها من العناصر المكونة لنسق المحيط الذي يتفاعل معه الفرد باستمرار وفي مختلف اللحظات والظروف[6].

ـ المهارة: هي قدرة مكتسبة من حيث القيام بنشاط ملؤه البراعة والخلق والذكاء، فالمهارة قدرة وصلت إلى درجة الإتقان والتحكم في إنجاز مهمة.

ـ الإنجاز: ما يتمكن الفرد من تحقيقه آتيا من سلوك محدد، وما يستطيع الملاحظ الخارجي أن يسجله بأعلى درجة من الوضوح والدقة[7].

إن الذي يمكن قراءته من مرتبات الكفاءة أنها متداخلة لا تؤمن بمبدأ القياس كونها عبارة عن قدرات كامنة في عالم الفرد العاقل الذي تحكمه مجموعة من الضوابط التي تنطلق من تصورات عقلية غير محدودة وعلى حسب اعتقادنا – أن ثمة علاقة وجودية تربط عالم الكفاءة بعالم الفطرة هذا ما جعل عنصرا النمو والارتقاء من أهم ميزات الكفاءة.

3. بين الكفاءة والفطرة:

هناك علاقة لا يمكن تجاهلها بين الكفاءة وعالم الفطرة على أساس أن القاسم الجامع بينهما كون أن الفطرة عبارة عن استعداد فطري يجعل من الفرد أن يكون قادرا على استقبال كل ما له علاقة بمبدأ التعلم والتعليم. وخير دليل يفسر هذه الحقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"[8]. قول النبي صلى الله عليه وسلم يعطينا بعدا مفاده أن الأشياء باقية على أصلها الفطري وهي الكفاية في مستواها الاطلاقي ثم بعدها تأتي المؤثرات الخارجية مما يجعل من العلاقة بين الفطرة والكفاءة يأخذها نوع من التلازم.

إن بين الكفاءة والفطرة وشائج تقوم في أساسها الأول على مبدأ الإحساس والشعور القائم في الفرد، مما يجعل من مبدأ الاستعداد ومن ثم الاكتساب يؤتي أكله حسب ما تقتضيه التعلم البيداغوجي شكلا ومضمونا.

4. بين الكفاءة ومبدأ المهارات والمعارف:

ترتبط الكفاءة ارتباطا وثيقا بالمعارف والمهارات وقد أحصاها أهل الاختصاص في عدة مجالات من بينها: قدرات وسلوكات واستراتيجيات وتقويمات وغيرها ما له تأثير مباشر في عملية الاكتساب.

وما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن الكفاءة تقاس في المجال التعليمي البيداغوجي بمدى تحقق شرط المهارات المعرفية على تنوعاتها.

5. بين الكفاءة والسلوك:

إن للسلوك دورا أساسيا في عمليتي التعليم والتعلم وهو ما يلازم الكفاءة من حيث مستواها الداخلي على أساس أن الكفاءة تولي الاهتمام البالغ إلى كل المؤثرات الداخلية أو الخارجية في عملية التعليم والتعلم معا وهذا نجده خاصة في علاقة الموجه بالمتعلم عندما يستوجب منه مقام التوجيه البيداغوجي أن يراعي جميع أقوال المتعلم وفق سلوكات يراها ويحس بها في إلقاء المادة المعرفية.

6. بين الكفاءة والنظام اللساني:

إن النظام اللساني لا ينطلق أساسا مما هو متفق عليه في المجال الدراسي من صوت ونحو ودلالة وإنما هو النظام الذي يحتكم على حقيقة تختلف باختلاف مبدأ الاستعمالات مما يجعل من البنية اللغوية تتجدد تبعا لتجدد حركية المعطى (الوضعيات) الشيء الذي يجعل من هذا النوع من التجدد في الوضعيات أن يحقق النظام كحقيقة معرفية بين النظام اللساني والنظام القائم في الكفاءة.

7. ما يفيده المدرّس (المعلّم) من اللسانيات:

لعل أهم نقطة يجب التذكير بها هي تسلح المعلم بعلم اللسانيات والذي يفتح له باب تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها بإتقان، لأن اللسانيات تستعين بعلم اللغة التطبيقي الذي هو ميدان خاص بتعلم اللغات بيسر، وعن طريق التحكم في اللسانيات تزول الكثير من القضايا العالقة في صعوبات تلقين اللغة العربية بإتباع خصائص المنهج التطبيقي.[9]

إن هدف المدرس ليس هو البحث اللساني، وإنما هو تعلم اللغة أي كيفية استعمالها استعمالا صحيحا، فتعدد النظريات لا يهمه بقدر ما يهمه تطبيقها، فهو يختار من سائر هذه النظريات ما يراه مفيدا في مهنته التربوية.[10]

فاللسانيات لا تفيده إلا في نطاق محدود لأن المعلم ليس أمام مهمة تبليغ اللغة فحسب، إنما مهمته تتعلق بمن يوجه هذه اللغة (بطبيعة الحال للمتعلم)، ولذا عادت طرق تعليم اللغات إلى الاعتماد على اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية.[11]

إن اكتساب اللغة من طرف المتعلم محدد بمجموعة من السيرورات يمكن أن تحلل جوهريا من ناحية مادتين هما اللسانيات وعلم النفس الوراثي الذي يرتبط بتحديد مكانة الاكتساب اللغوي في السيرورة العامة لوظائف ولتصرفات علاقة المحيط، معتبرا المتعلم كوحدة نفسية جسمية لا تتجزأ.[12]

8. بين الكفاءة والخطاب التداولي:

لقد أثبتت النظريات الغربية والعربية أن الكفاءة تسير جنبا إلى جنب مع فعل الأداء وفعل الانجاز. هذان الفعلان يعكسان في المسكوت عنه بعدا معرفيا وإجرائيا له علاقة بحقل التداولية أو البراغماتية (Pragmatique).

في الحقيقة هذا المصطلح المتعلق بالدرس التداولي يقوم أساسا على تجسيد كل ما يتعلق بالأفعال الكلامية من حيث مبدأ الاستعمال والوظيفة التي تؤديها داخل الأوساط المعرفية التي تحقق بعدا تداوليا يتماشى وما تقتضيه طبيعة البعد التواصلي الابلاغي.

إن مثل هذه الحقائق المعرفية المتعلقة بالإنجاز الفعلي للحدث الكلامي قد بينه كثير من التداوليين الغربيين في أبحاثهم اللغوية، منهم الناقد الانجليزي أوستن (Austin) الذي أحصى مجموعة من الانجازات الكلامية التي تعكس في باطنها كفاءة لغوية تتماشى والطابع التعليمي التوجيهي.[13]

إن أهم ما يميز حقل الخطاب التداولي هو دراسة فعل التلفظ وفق ما تقتضيه طبيعة الاستعمالات اللغوية شريطة أن تلتزم بشرط التواصل الابلاغي، وهو جانب وجدناه يتجسد بوضوح في علاقة الكفاءة بالأداء والانجاز الفعلي للحدث الكلامي، الشيء الذي جعل من غالبية

المتخصصين في المجال التعليمي البيداغوجي يحاولون عقد ترابط مفاهيمي ومنهجي بين الكفاءة كمفهوم تعليمي والكفاءة كمفهوم تداولي استعمالي له القدرة في جعل مبدأ الاستعمال اللفظي يحقق بعدا تواصليا بين المعلم والمتعلم معا.

4. خاتمة:

إن مسألة تنظيم المناهج التعليمية أمر ضروري لما له من أبعاد. لذلك كان من بين ما تبنته السياسة التربوية الجزائرية في إطار الإصلاح التربوي تحديد طرائقه (المقاربة بالكفاءات) لسد النقائص السابقة القائمة على الأهداف والتحصيل الكمي للمعلومات بدلا من التحصيل المعرفي الذي يهدف إلى إشراك المتعلمين في العملية التعليمية من أجل إكسابهم المهارات وتدريبهم على حسن التعامل مع المواقف المختلفة تبعا لما يتلقاه نظريا ويجسده تطبيقيا. ومن هنا نحتاج إلى معلم كفء لهذه المدرسة يلم بالتخصص العلمي وبالتأهيل التربوي والنفسي مؤمنا برسالته ودوره في تربية وإنشاء أجيال المستقبل.

وتبقى المساعي والجهود مبذولة في البحث عن أحدث الكيفيات وأنجع السبل لتحقيق التغيير المناسب في العمل البيداغوجي من أجل النهوض بالفعل الديداكتيكي (التعليمي التعلّمي)، ومسايرة التطورات في جميع الميادين والاستجابة لمتطلبات الفرد والمجتمع وتحقيق الكفاءات التي تتناسب مع هذه المعطيات. في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل اليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

5.الهوامش والإحالات:

1- جيلفورد، ميادين علم النفس، ترجمة يوسف مراد، دار المعارف، مصر 1975.

2- مفتشو التربية والتكوين لمادة اللغة العربية، تدريس اللغة العربية بالكفاءات، قسنطينة، مارس2003.

3- محمد علي حافظ، تطور السياسة التعليمية في المجتمع العربي، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، القاهرة، بغداد، الطبعة الأولى 1976 .

4- جابر عبد الحميد جابر، التقويم التربوي والقياس النفسي، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة 1991.

5- عبد الرحمن التومي، الكفايات، مقاربة نسقية، ط 3، دار الهلال، جدة، المغرب، 2005، ص36.

6- عبد الكريم غريب، الكفايات واستراتيجيات اكتسابها، منشورات عالم التربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص10.

7- وزارة التربية الوطنية، دليل المعلم في استكشاف صعوبات التعلم ومعالجتها، مديرية التعليم الأساسي، المديرية الفرعية للتعليم المتخصص، يونيسيف، جويلية 2004.

8- رواه البخاري في صحيحه.

9- المصطفى بن عبد الله وشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، ط2، المغرب 1994، الهلال العربية للطباعة والنشر، ص35.

10- اللسانيات من خلال النصوص، ص 151، 152، الأستاذ عباس الصوري وجمع عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، جوان 1994.

11- عبد الجليل مرتاض، مقال في مجلة فكر ولغة، الصادرة بتاريخ 2010، ص 35.

12- ينظر: La linguistique, Guide alphabétique, p :13, sous la direction d'André Martinet, édition Denoël I, France

13- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006م، ص 61.